

الظلم الاجتماعي ركيزة أساسية في تزمن حرب الأهلية والأحزاب المتطرفة (بوكو حرام) في المجتمع النيجيري.

Hamza Nuhu Sadiq

Federal College Of Education Okene, Kogi State

Hamzatsadiqnuhu@gmail.com

الملخص

تمتاز هذه الورقة بنظرية فاحصة إلى المعانات الإقتصادية التي تعيش فيها كثير من سكان نيجيريا منذ أن أخذت إستقلالها حتى اليوم، والفقر مؤبد مزمن، يموتون عليها الشيوخ متمنيا أنها ستتحسن يوما، والشباب يربون عليها ولا يضمنون مستقبلهم، وأموال الدولة تسرق وتدخل في دولة أخرى، لافائدة لمدخرتها ولا للدولة الظالمة، ولكنها ثروات منحت للدول المتقدمة، حتى تعيش حياتها مسيطرة على الدول النامية، ويظل الفقير فقيرا، ويصبح الغني ذي الثروات طائلة. وقد نظرت الورقة إلى عنصر مهم وهو الظلم، وظلم الرعية تدفع المجتمع إلى الفقر وتمشى الفقير منطويًا على نفسه، يظلم الدنيا في وجهه، ولا نصيب له في دنياه، ويرى كل شيء بنقشه، لا يرى للسرقة عيب، ولا نهيب فحش كأن الناس متربون عليها، وشجاعة معترف من عاداتهم وتقاليدهم، ولذلك يرى مثل هؤلاء إذا دعوا إلى جمعية من جمعيات المتطرفة انضموا إليها ولبوا دعوتهم، وقد حاولت هذه الورقة إلى تقسيم الجمعيات المتطرفة إلى قسمين رئيسيين وهي : التطرف الديني وتطرف الاجتماعي، ولكل منها له أقسام من حيث التطرف الأخلاقي والتطرف الثقافي وتطرف العنصري، وغيرها مما يجعل الناس ينحرفون عن البنية الأساسية للدولة، التي تساعد الأفراد والجماعات إلى التقدم الملمس المثمر. وبهذا تعرف الورقة إلى ماهية الظلم في المجتمع الدولي، وتعريفها في المجتمع النيجيري، وأنواع الظلم عند النيجيريين، وما هي الدوافع التي أدت إلى انتشار جماعات إجتماعية متطرفة، وأحزاب دينية مشاغبة، وكيف الخروج من الحرب الأهلية الدامسة، وما للولاة الأمور أن يقوم به، وحق الرعية عند الحكومة، ثم الإقتراحات والتوصيات والخاتمة.

جماعة بوکو حرام : نشأتها وأصولها الفكرية والمواقف المتعددة منها

بوکو حرام : هي جماعة إسلامية مسلحة نيجيريا، وتعنى بوکو حرام بلغة الہوسا(منع تحریم - التعليم الغربى)، وقد تأسست الجماعة عام 2004، على يد محمد يوسف، وهو شاب نيجيري ترك التعليم فى سن مبكرة ، وحصل على قدر من التعليم الدينى غير النظامى، وتشكلت الجماعة أساساً من طلبة تخلوا عن الدراسة النظامية ، وقد أقامت الجماعة قاعدة لها فى قرية مع النيجر، وفي عام 2009م وقعت مواجهات بين الجماعة والشرطة والجيش شملت عدة ولايات شمالية راح ضحيتها مئات أوآلاف من الضحايا من المجدنيين، وانتهت بإعلان الحكومة النيجيرية أنها قتلت جميع أفراد جماعة بوکو حرام بما فيهم زعيم الجماعة محمد يوسف، غير أن هذا لم يشكل نهاية للجماعة، حيث ينسب إليها سلسلة من التفجيرات والهجمات التي شهدتها المناطق الشمالية الشرقية من نيجيريا في الفترة من 2010 إلى 2011م(أهمها تفجيرات سوق أبوجا في ديسمبر 2010م، وتفجيرات مركز للشرطة في مايدوغوري في يناير 2011م، وتفجير مكتب للجنة الانتخابية الوطنية المستقلة في مايدوغوري في إبريل 2011م، وتفجير مقر الأمم المتحدة في أبوجا في أغسطس 2011).

أصولها الفكرية: وتتضمن الأصول الفكرية لجماعة بوکو حرام عدداً من المفاهيم أهمها:

العمل على تأسيس دولة إسلامية بالقوة ، وتفكير جميع العاملين في الأجهزة الأمنية والبرلمانيين ورؤساء الحكومة، والدعوة إلى التطبيق الفوري للشريعة الإسلامية في جميع

ولايات نيجيريا، والتي يشكل المسلمون نحو 68 من سكانها، والبالغ عددهم حوالي 140 مليونا، والتي تطبق الشريعة الإسلامية في 12 ولاية من ولايات الشمالية، ورفض التعليم الغربي والثقافة الغربية والعلوم، والدعوة إلى تغيير نظام التعليم وتکفير ورفض التعامل مع من لم ينضم إلى الجماعة بما في ذلك أعضاء الجماعات الإسلامية أخرى، على اعتبار أنهم يقبلون العيش في مجتمع يرفضون الصلاة خلف من لا ينتمون إلى جماعتهم حركيا وتنظيميا.

المواقف المتعددة منها

استطاعت الجماعة أن تكسب العديد من الأنصار خاصة في أوساط الشباب، كما استطاعت أن تكسب التعاطف بعض المسلمين في بعض الدول الإسلامية، نسبة لعمليات القتل خارج القانون، والتي ارتكبها الشرطة النيجيرية في حق أعضائها، والتي تناقلتها بعض وسائل الإعلام إلا أن الجماعة تعرضت لانتقادات من قبل العديد من الشخصيات والهيئات والمؤسسات الإسلامية.

فقد اعترض العديد من الشيوخ المعروفيين في شمال نيجيريا على الكثير من الأفكار محمد يوسف الجماعة، كما أدانت العديد من المنظمات الإسلامية كمؤتمر المنظمات الإسلامية الذي ينطوى تحت مظلته الكثير من المنظمات الإسلامية في نيجيريا، وجمعية نصر الإسلام، أعمال العنف التي نسبت للجماعة كما نشر أسامة عبد العظيم في موقع الجماعة الإسلامية بمصر مقال له بعنوان (بوكو حرام والفهم السقيم للإسلام).

تناول فيه الجماعة من منظور نceği إسلامي جاء فيه (هذه هي قصة جماعة "بوكو حرام" في نيجيريا، والتي تشغلت معظم عناوين الأخبار خلال الأيام الماضية، وهي في الوقت ذاته تمثل

مأساة جديدة من مأسى الفهم السقىم للإسلام، ذلك الفهم الذى تشوّهت بسببه معالم الدين الحنيف، وذهب بها ونهضاته، زأرهقت من جرائه أرواح، وأهدرت جهود وطاقات، وأنفقت أموال، وفتحت سجون ومعتقلات.

وانقضت أعمار، وتعطلت مسیرات نهضة وتنمية ورخاء فى كثير من البلدان، ولعل الأزمة الفكرية التى تعانى منها كافة الجماعات التفكيرية، ومنها بوكو حرام ، هى قامت على مفارقة المجتمع واعتزاله، وذلك أنها لكونها لا ترى فيه خير قط، لقد بنيت جماعة "بوكو حرام" رؤيتها واستراتيجيتها على رفض نظام التعليم القائم فى نيجيريا، وقد يكون معها حق فى مأخذها على النظام التعليمى، وانتقاداتها الموجهة إليه، ولكنها بدلًا من أن تؤسس لرؤية تعليمية حضارية توافق الشريعة الإسلامية ، وتلبى متطلبات الواقع الحديث، فإنها شنت حماتها لهدم النظام التعليمى من أساسه، ودعت أتباعها لمقارفته وهجره، ولكن حتى تكون منصفين ، فإن أمثال تلك الحركات الإسلامية البعيدة عن فهم صحيح الإسلام لا تتحمل بمفردها مسؤولية المأسى المتعدد جراء فهم الإسلام بطريقة خاطئة ، فعندما يغلق المجتمع أبواب الإصلاح السلمى والمشاركة الفعالة والتعبير الإيجابى عن الذات فى وجه الشباب، وعندما ينشغل المثقفون والذين وأصحاب الرأى والفكر عن هموم المجتمع ومشكلاته الحقيقية كافقر والبطالة والأمية وغيرها، وييتفرغون للحديث فى قضايا هامشية وجدلية لا تمت للواقع بصلة، وعندما ينخر الفساد والرشوة والمحسوبيه فى جسد المجتمع، ولا يجد المتفرقون والمتميرون فرصتهم ، بينما يجدوها المتزلفون والمتملقون وأصحاب رؤوس الأموال فى أماكن لا يستحقونها، عندما تكتم أفواه أصحاب الفكر المترن وفهم الوسطى للإسلام، فى حين تفتح على مصراعيها صفحات الجرائد ومنابر الأعلام للمتهجمين

على ثقافة الأمة و هويتها ، وعلى دين المجتمع و ثوابته، فإن الإستقرار والسلام ستحدث في المجتمع النيجيري.

مطالبة الحكومة إلى تقييم مناهجها التعليمية

الموقف من الإسهامات العلمية للمجتمعات الغربية: أن منع وتحريم جماعة بوكو حرام للتعليم الغربي يعني أن موقفها من الإسهامات العلمية للمجتمعات الغربية هو الرفض المطلق، وقد جاء هذا الموقف كرد فعل على موقف آخر يقوم على القبول المطلق لهذه الإسهامات، وهو الموقف الذي تبناه أغلب النظم التعليمية، في البلدان الإسلامية بما فيها نيجيريا.

والموقف الصحيح من هذه الإسهامات العلمية، فيما أرى: هو الذي يميز بين مجالين من مجالات هذه الإسهامات:

المجال الأول: هو فلسفة العلم ، والمعيار هنا أصول الدين، بما معها وجوب قبوله، وما تناقض معها وجب رفضه.

والمجال الثاني : هو العلم التجريبي، والمعيار هنا هو التجربة والأخبار العلميين ، بما تحقق من صحته طبقا لهما وجب قبوله، وما تحقق من خطأ طبقا لهما وجب رفضه.

الفقر وعوائدها في المجتمع النيجيري.

امتدت الدراسات عامين، واستهلها الأمين العام للأمم المتحدة أنطونيو جوتيريش، بعبارة قال فيها: " إن خلق مجتمعات تعددية شاملة مفتوحة منصفة، تقوم على أساس الإحترام الكامل لحقوق الإنسان، وتشمل العدالة الاقتصادية للجميع، يمثل بدلا ملموسا وهادفا لحماية الشخص من السير في طريق التطرف العنيف".

و كشفت الدراسات أن أعداد الوفيات الناجمة عن التطرف في أفريقيا بلغت 33 ألفا و 33 حالة بين عامي 2011 و

2016، إضافة إلى ما خلفه الإرهاب من تشرد ودمار اقتصادي، مؤكدة أن النشاط المتطرف العنيف في نيجيريا، بات يمثل تهديداً كبيراً للأمن العالمي، في ظل تداخل الأسباب التي تعزز وجوده ونشاطه في القارة السمراء، وتتنوعها بين أسباب دينية وأيدولوجية وسياسية واقتصادية.

وشددت على أن الفقر والحياة على هامش المجتمع يدفعان بالشباب الأفريقي إلى الولوج في دروب التطرف والعنف والتمرد، وأن التهميش والحرمان من الحقوق الاجتماعية، وعدم فهم النصوص الدينية فهما صحيحاً، وتدني المستوى التعليمي، وسوء الأحوال الاقتصادية، وفقدان أحد الوالدين أو كليهما، كلها من أهم العوامل التي تلعب عليها التنظيمات الإرهابية لاستقطاب مجندين جدد.

الإنضمام لتنظيم جبهة المتطرف

اعتمدت الدراسات على إجراء لقاءات مباشرة مع 718 شخصاً في كل من الصومال ونيجيريا وكينيا والسودان والنيجر والكاميرون، بينهم 81% من الذكور و19% من النساء والفتيات، جرى تقسيمهن إلى ثلاث مجموعات.

مجموعة متطوعين، وضمت 495 شخصاً انضموا طواعية إلى الجماعات المتطرفة العنيفة،

والثانية: اشتغلت على 78% فرداً تم تجنيدهم عن طريق الإجبار والسيطرة والقوة، وشكلت النساء والفتيات نسبة بلغت 53% من تلك مجموعة مرجعية" وتشكلت من 145 فرداً لا ينتمون إلى أي جماعات متطرفة عنيفة مثلوا 20.19% من عينة البحث.

انعدام الثقة بالدولة

وتبرر الدراسة صورة الفرد المهمش المهمش، طيلة حياته، منذ طفولته، والذى لا تتوفر له ظروف معيشية جيدة، أو مشاركة ذات مغزى في الحياة العامة، إذ يعدم هذا الشخص الثقة بالدولة في أن تقدم له الخدمات الحيوية الضرورية، أو أن تحترم حقوقه، وينجذب إلى التطرف عندما يشهد ما يعتبره إساءة لاستخدام السلطة من الدولة، أو يتعرض لذلك بشكل مباشر، مما يجعله يشعر بفقدان "شرعية الدولة" مبينة إلى أن 40% من انضموا طواعية لتلك التنظيمات ذكرها أنهم لم يكونوا يرددون النشيد الوطنى لبلدانهم في أثناء طفولتهم.

وفقاً لنتائج الدراسة، فإن 83% ممن تم تجنيدهم يومنون بأن الحكومة لا تهتم إلا بمصالح فئة قليلة، وأكثر من 75% لا يثقون بالسياسيين ولا بالجهاز الأمني للدولة، مشددة على أن تدني المستوى التعليمي، وضعف الدخل الشهري، وتردى أوضاع الإجتماعية كانت أسباباً رئيسية في انضمام المبحوثين إلى تنظيمات إرهابية، خاصة أن أكثر من نصف سكان العينة من دول تحت خط الفقر.